المحاضرة العشرون
اثر الحضارة الإسلامية على الحضارة الأوربية (٢)

٣ ـ **عصر الاستعراب:** يمتد من القرن ١٣ وحتى منتصف القرن ١٥ الميلادي ويمثل قمة التأثير العربي ، ففي مجال الالكيميائية،لت كتب الفلسفة اهتماما من قبل المترجمين ، حتى غدا للعرب الدور الكبير في تكوين الفلسفة الأوربية في العصور الوسطى وتمثل هذا الدور بـ :

١ ـ عرفت أوربا عن طريق المسلمين مؤلفات أرسطو وأفلوطين وابرقلس وافلاطون ، فترجم كتاب البرهان من منطق أرسطو وكتاب الخير المحض وهو فصول من إلهيات ابرقلس .

٢ ـ اثر الفلاسفة العرب في أوربا عندما ترجمت مؤلفاتهم إلى اللاتينية واللغات الأوربية الناشئة ، فترجم جيرار الكريموني رسائل الكندي ومنها رسالة في العقل ، وترجم يوحنا الاسباني منطق ابن سينا ، وقد تأثر شيخ المترجمين الأوربيين غنصالفة بآراء فلاسفة الإسلام فألف كتبا نجد فيها آثار الفلسفة الإسلامية ككتاب صدور العالم ، وفي خلود النفس ، ومن أهم فلاسفة أوربا الذين تأثروا بالفلاسفة المسلمين ، البرتس الكبير الذي اهتم بمؤلفات فلاسفة الإسلام المترجمة إلى اللاتينية وتأثر بها ، وفهم فلسفة أرسطو من خلال مؤلفات الفارابي وابن رشد وابن سينا ، ونجد اثر الفلسفة الإسلامية في مؤلفات القديس توما الاكويني ، إذ جاء بالبراهين الدالة على وجود الله بالعقل مقتبسا ذلك من الفارابي وابن سينا مما يدل انه قرأ مؤلفاتهما، واخذ توما فكرة الوحي عن ابن رشد في كتابيه (فصل المقال وتقرير مابين الشريعة والحكمة من الاتصال) وكتاب (الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة) ، وأوضح توما هذه الفكرة في كتابه (الأقوال) واخذ عن ابن رشد مذهبه في العقل والنقل أي الصلة بين العقل والوحي ، وكان ميخائيل سكوت أول من ادخل فلسفة ابن رشد إلى أوربا وقد تم ترجمة جميع كتب ابن رشد وغدا صاحب السلطان المطلق في كلية بادوا بايطاليا والمعلم الأكبر دون منازع .

وكان للتصوف الإسلامي أثره الواضح في التصوف الأوربي كما أشار لذلك العلامة الاسباني بلانيوس مبينا تأثير الصوفي الأندلسي ابن عباد الرندي على الصوفي الاسباني يوحنا الصليبي الذي كان يقول بفكرة القبض والبسط التي أخذها عن فكرة الخوف والرجاء عند الجنيد ،وكان لترجمة كتب الغزالي إلى اللاتينية أثرها في الفكر الأوربي فقد استفاد الراهب الدومنيكي من مؤلفاته في علم الكلام والفلسفة ، وفي مجال التصوف اثر الغزالي في فكر العالم الفرنسي بسكال ، وكان لابن عربي اثر على عقول النساك والمتصوفة المسيحيين والذي حببه إلى المسيحيين دعوته إلى وحدة الأديان ودعا إلى وحدة حقائق الوجود ، واثر ابن عربي في دانته الشاعر الايطالي الذي استمد مادة كتابه (الكوميديا الإلهية) من التصورات الأخروية الإسلامية وبخاصة من ابن عربي .

أما في مجال الفكر العلمي فكان تأثير العرب كبيرا جدا فقد تبنت أوربا نظام الطب العربي الذي انتقل مبكرا لأوربا وأنشئت مدارس للطب في أوربا استخدمت الكتب الطبية العربية المترجمة إلى اللاتينية ككتاب (الحاوي في الطب) للرازي وهو احد الكتب التسعة الموجودة في مكتبة الكلية الطبية في باريس ، وكتاب (القانون في الطب) لابن سينا الذي طبع عشرات المرات في أوربا وأصبح الكتاب المدرسي في الطب في جامعتي مونبليه ولوفان ، وكتاب (الملكي) لعلي بن عباس المجوسي وكتاب (التصريف) للزهراوي وهو من كتب الجراحة المهمة وترجم إلى اللاتينية والعبرية .

وعن العرب أخذت أوربا طريقة الاقرباذين وهي رسالة صغيرة ويقتصر بها على تركيب الأدوية ويقابلها اليوم فارما كوبيا التي على أساسها يحضر الصيدلي الأدوية ، وانتقلت العقاقير الطبية لأوربا عن طريق صقلية والبندقية وتدفقت معها كتب كثيرة في علم الأدوية ، وكان كتاب ماسويه الماردیني الكتاب المدرسي الأول في الصيدلة في أوربا لعدة قرون وكتاب (الأدوية المفردة) لابن وافد من أهم كتب الصيدلة التي اعتمدتها أوربا في القرون الوسطى . وقد بلغت الجراحة الإسلامية ذروتها على يد الزهراوي في كتابه (التصريف لمن عجز عن التأليف) وقد ترجم الفصل الخاص بالجراحة إلى اللاتينية والعبرية وغيرها وألحقه الجراح الفرنسي شولياك بأحد مؤلفاته .

أما في الكيمياء فمن كتب جابر بن حيان عرفت أوربا عمليات التكليس والتبخير والتقطير والتبلور وتحضير المواد الكيميائية ، ولا زالت المعدات العربية تحمل أسماءها العربية في أوربا .

وفي الرياضيات انتقلت الأرقام الغبارية من المسلمين إلى أوربا عن طريق الأندلس وأول من اخذ بها جربرت الذي عرف بالبابا سلفستر الثاني ، ومن أشهر علماء الرياضيات المسلمين أثرا في أوربا الخوارزمي الذي عرفته أوربا من خلال كتابه (الجبر والمقابلة) المترجم للاتينية وكان يدرس في المدارس والجامعات

الأوربية ، وكذلك (الكرجي) وكتابه (الفخري في الجبر والمقابلة) . وفي الفلك ترجم ادلارد الباثي الانكليزي وأفلاطون التيفولي الكتب الفلكية إلى اللاتينية أو الاسبانية أو العبرية ومنها الألواح الفلكية للخوارزمي ومؤلفات أبو معشر الفلكي ، وأخذت أوربا من فلكيي المسلمين فكرة المراصد الفلكية ، وكان أول من استعمل الرقاص (بندول الساعة) من المسلمين ابن يونس المصري صاحب الارصادات المشهورة أيام الحاكم الفاطمي في القرن ٤هـ لكن أوربا نسبة هذا الاكتشاف لغاليلو ق١٦م . وتمكن كولومبس اكتشاف القارة الأمريكية اعتمادا على الآراء العربية الفلكية والجغرافية التي أكدت كروية الأرض لذا وصل كولومبس إلى الهند غربا .

لقد تأثرت الجامعات الأوربية ببعض تقاليد الجامعات الأوربية لاسيما الموجودة في صقلية والأندلس كلبس الأردية للأساتذة وتخصيص أروقة للطلاب حسب جنسياتهم وفي منح الإجازات الجامعية ، وان كلمة بكالوريوس اللاتينية هي تحريف للعبارة العربية (بحق الرواية) التي تعني الحق في التعليم بإذن من الأستاذ ولا تزال جامعة كمبردج تحتفظ بإجازة جامعية عربية مبكرة تعود لعام ١١٤٧م فيها عبارة (بحق الرواية) بينما لم تظهر كلمة بكالوريوس في الإجازات الأوربية قبل عام ١٢٢١م .

أما في مجال الأدب فنجد في كتاب (الصباحات العشرة) لبوكاشيو الايطالي وكتاب (العبرة بالخواتم) لشكسبير الانكليزي و(الكوميديا الإلهية) لدانتي الايطالي نجد تأثرهم بقصص ألف ليلة وليلة وكتب ابن عربي وابن طفيل ، وقد كان للأدب الأندلسي لا سيما الشعر اثر في نشأة الشعر الأوربي الحديث في اسبانيا وجنوب فرنسا ، وكان لشعر الموشحات والزجل الأندلسي اثر في نشأة الشعر الأوربي ، وانتقلت بحور الشعر العربية والموسيقى إلى أوربا ، ويظهر إن شعر التروبادور الأوربي من أصل عربي لوجود أوجه شبه لفظية بين ما شاع بأوربا وما عرف عن الزجل الأندلسي، وكان لكتاب (طوق الحمامة في الألفة والآلاف) لابن حزم اثر في الشعر الأوربي إذ ظهرت فكرة الحب النبيل في الشعر البروفنسالي. كذلك كان للقصص العربي أثره على القصص الأوربي فقد ترجم بدرو الفونسو ثلاثين قصة عربية للاتينية وكذلك أثرت كليلة ودمنة بعد ترجمتها للاسبانية في الأدب الأوربي، أما كتاب (ألف ليلة وليلة) فقد احتل مكانة مهمة في تاريخ الأدب الغربي بما صوره عن الشرق الغامض الساحر الذي يزخر بالجن والسحرة والكنوز الرائعة والمغامرات المذهلة وبذلك أصبحت الصورة نصف الخيالية عن الشرق التي أظهرها كتاب ألف ليلة وليلة مجسمة إلى حد كبير في الأدب الأوربي.

أما في صقلية فكان قمة التأثير العربي في عهد الإمبراطور فريدريك الثاني إذ كان شعراء ايطاليا يقلون الشعراء العرب الذين يكتبون شعرهم باللهجة العامية فتأثر الايطاليون بذلك ونمى الشعر الايطالي العامي كأغاني المهرجان (الكرنفالات) وأغاني (جاكوبوني)، ووضح تأثير الأدب العربي على دانتي في كتابه (الكوميديا الإلهية)، وقلد الأديب الايطالي بوكاشيو قصص ألف ليلة وليلة في كتابه (الصباحات العشرة) وجعله قصصا تروى في عشرة أيام وفي كل يوم تروى عشر قصص، وقد انتقلت الكثير من الكلمات العربية إلى اللغات الأوربية، ولا زالت متداولة إلى اليوم.